

الكشاف

قرئ : ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء . وعن أبي عمرو : بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم . ونحوه قراءة من قرأ " فتمسكم النار " بكسر التاء . وقرأ ابن أبي عبله : ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم . وذكرهم بما فيه تعظيم لهم . وتأمل قوله : " لا تركنوا " فإن الركون هو الميل اليسير . وقوله : " إلى الذين ظلموا " أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين . وحكي أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال : هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم . وعن الحسن C : جعل الله الدين بين لاءين : " ولا تطغوا " هود : 112 ، " ولا تركنوا " ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك : أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه " لتبيننه للناس ولا تكتمونه " آل عمران : 187 ، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخص ما احتملت : أنك أنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلاتهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم " ف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " مريم : 59 ، فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهين زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام . وقال سفيان : في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك . وعن الأوزاعي : ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وعن محمد بن مسلمة : الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه " ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء ؟ فقال : لا فليل له : يموت ؟ فقال : دعه يموت . " ما لكم من دون الله من أولياء " حال من قوله : " فتمسكم النار " أي : فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال . ومعناه : وما لكم من دون الله من

أنصار يقدرّون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم من غيره " ثم لا تنصرون " ثم لا
ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم . فإن قلت : فما معنى ثم ؟ قلت
: معناها الاستبعاد لأن النصر من الاستبعاد مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له .
" وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى
للذاكرين "